الفصل الثالث

محاور الهجوم والدفاع

- محـــك النـزاع .
- وسائل التفاخر .
- طرائق الهجـوم .

obeikandl.com

obeikandl.com

محك النزاع

أشرت فيما سبق إلى علاقة العباسيين بالطالبيين قبل قيام الخلافة العباسية وبعدها ، وموقفهما من الأمويين .

ويؤكد تاريخ الصراع حول الخلافة الإسلامية أن كل من وليها أو طالب بها ادعى حقه فيها ، وأنه أهل لها ، وأن حقه مستمد من مصدر ديني .

وقد تلمس الأمويون في قميص عثمان ، إحقاقاً للحق وتطبيقاً لدين الله في تنفيذ القصاص ، واتخذوه ذريعة لتحقيق مطامعهم في الوصول إلى الحكم ، مجددين بذلك ما كان من خصومة قديمة بين «عبد شمس » وأبناء عمومتهم « عبد مناف »[1] ، وها هو الأخطل شاعر الأمويين يردد تلك المزاعم في قوله :

ويَوْم (صِفِّيْن) والأبصار خاشعةٌ ... أمدُّهم – إذْ دَعوْا – من رَبهم مَدَدُ
على الألى قتلوا عثمانَ مظْلمةً ... لم ينههم نَشَدٌ عنه وقد نُشِدُوا [2]

ويصرح أحد شعرائهم بفضل على وفروسيته ، ولكنه يقاتله مصدقاً ذرائع الأمويين في الأخذ بتأثر عثمان .

نحن بنو ضبَّة أعداء عَلِي
ما أنا عنْ فضْلِ عليٍّ بالعَمِي
لكنَّني أنعى ابنْ عَفَّانَ التقى [3]

وتدور الدائرة على الأمويين إذ اعتبرهم العباسيون بغاة خائنين ، فعاملوهم بما يستحقون ، وعلى الباغي تدور الدوائر [4] ، وها هو الأمير العباسي عبد الله بن المعتز يعرب عن رأيه في موقف أسرته من الأمويين :

(١) قاد أبو سفيان قريشا لمحاربة الرسول (ص) ، وقاد معاوية جنوده لقتال علي بن أبي طالب ، وانتدب يزيد بن معاوية فرقة من جيشه لقتل الحسين .

(٢) شرح ديوان الأخطل التغلبي ، ص ١٢٢ ، دار الثقافة بيروت ١٩٦٨م .

(٣) شرح نهج البلاغة ، لابن حديد ، مجلد ٣ ص ٩٧ .

(٤) راجع تحليل الدكتور طه حسين لموقف الأمويين من الخلافة في كتابه : الفتنة الكبرى ، جـ ٢ ، (علي وبنوه) ، ص ١٦٨ وما بعدها .

جَزَيْنَـا الأُمَويِّـينَ ودنَّاهُمْ كما دانُـوا
وذاقوا ثمرَ البغْيِ وخُنَّاهُم كما خَانوا
وللخَيْـرِ وللشَّـرِ بكـفِّ اللّـهِ ميـزانُ (١)

ويشارك تميم ابن عمه عبد الله بن المعتز فى سب الأمويين ويرد عليهم حقهم المزعوم فى الخلافة ، ويشمت فيهم بعد زوال حكمهم بأكثر من قرن ونصف من الزمان :

دعْ عبدَ شمس وأباطيلَها فقـدْ بَـدا اللّـهُ بتنكيسِـها
قبيلةٌ ما طهَّر اللّه من شَا يَعَهـا مـن إثـم تنجيسِـها
طافتْ بحرْب وهو فرعونُها طوْف النصارى حول قسِّيسها (٢)

وهكذا يجتمع العباسيون والطالبيون على تكذيب الأمويين فى ادّعائهم الخلافة وينكرون حقهم فيها .

وقد استبد العباسيون بالأمر دون أبناء عمهم الطالبيين ، فيماذا بروا موقفهم :

لم يعتبرابن المعتز أهله غاصبين فهم أصحاب حق ثابت استخلصوه من أيدى الخونة الغاصبين ؛ وقتلوهم وشردوهم ، ومن قتل قتيلا فله سلبه .

قتلْنا أميَّةَ فى دَارِها ونحن أحقُّ بأسْلابها (٣)

وطبيعى ألا يستوى الغاصب والسالب ، فالغاصب يملك ما لا حق له فيه . أما السالب فإنه يسترد حقه المغتصب . ومن هذا المبدأ انطلق ابن المعتز يعاتب الطالبيين لثوراتهم المتكررة على أبناء عمومتهم ، ويبكتهم لعجزهم عن الأخذ بثارهم مبرئاً العباسيين من كل عيب أو اتهام .

فحين أخذنَا ثأركمْ من عدوكُمْ قعدتُمْ لنا تُوْرُونَ نَار الحبَاحبِ
وحُزْنا التى أعْيَتْكمُ ، قد علمْتُمُ فما ذنْبنا ؟ هل قاتلٌ مثل سالبِ (٤)

وأمام مطالبة العلويين المتكررة الملحة يؤكد ابن المعتز أحقية العباسيين فى الخلافة ، وأن هذا الحق قد آل إليهم عن طريق الميراث ، بل ويحذر العلويين من تطاولهم على هذا الحق أو اللجاج فيه لأن أصحابه يملكون وسائل حمايته وردع المعتدين عليهم :

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ٤٢١ .
(٢) ديوان تميم ، ص ٢٤٧ .
(٣،٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢ ، ص ٥ .

دَعُـوا آل عبّاس وحـقَّ أبيهـمُ وإيّاكـمُ منْهُـمْ فإنّهـمُ هُـمُ
مُلوكٌ إذا خَاضُوا الوَغى فسيُوفهمْ مَقابِضُـهـا مِسْـكٌ وسـائرُهـا دمُ (١)

وحق الخلافة كما يدّعيه ابن المعتز ميراثٌ شرعيٌّ :

ومَلَكْنَا رِقَّ الإمامة ميراثاً فمنْ ذاً عنّا بِفَخْر يَحيدُ (٢)

وهنا يحتدم الخلاف بين ابن المعتز وتميم ؛ فيعكس لنا هذا الخلاف وجهة نظر الشيعة وأهل السنة فى قضية ميراث الخلافة فمن الأدلة التى أقام عليها الشيعة رأيهم فى وجوب إمامة على حديث المنزلة ، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم لعلى عندما خلفه فى المدينة حاكماً عليها فى غزوة تبوك :

« أما ترضى أن تكون معى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى ؟ » .

وقد فسر الشيعة هذا الحديث تفسيراً يقضى بوجوب الخلافة لعلى ، لأن هارون خلف موسى فى قومه حين ذهب إلى ميقات ربه إذ يقول الله على لسان موسى : « اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين » . فقام فى بنى إسرائيل وبذلك كان هارون شريكاً لموسى فى دعوته . كذلك كان على إلا فيما يختص بالنبوة (٣) .

وإلى هذا الرأى يشير تميم مدافعاً عن أحقية العلويين بالخلافة دون العباسيين :

مَنْ دَعاهُ النبى خِدْنا وسِمًا هُ أخاً فى الخفَاء والإظْهـارِ
من لَهُ قالَ أنتَ منِّى كهارو نَ وموسَى أكرِمْ بِهِ مِنْ نِجَارِ (٤)

وكانت علاقة النبى صلى الله عليه وسلم بأهله وصحابته قطب الرحى فى إثبات الفضائل وأحقية الخلافة ، وقد تحمل بر الرسول صلى الله عليه وسلم بصحابته وأهله أكثر مما يحتمل فى هذا الصراع. فالعباسيون والعلويون يروون قصة « الكساء » ويستدل كل فريق منهم على حوزه الفضل والسبق بمكانته من رسول الله ، وهذا مبرر لأحقية الخلافة من بعده .

روى الترمزى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم – قال ياعم لا ترم منزلك أنت

(٢،١) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٩٥ ، ص ١٥٥ .

(٣) عرض لهذه القضية الدكتور أحمد محمود صبحى ، وفصل فيها قول الشيعة وأهل السنة تفصيلا علميا موثقا أنظر : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشرية . أحمد محمود صبحى ، القاهرة : دار المعارف ، ١٩٦٩ ، ص ٢٢٣ وما بعدها .

(٤) ديوان تميم ، ص ١٨٦ .

وبنوك غداً حتى أواتيكم فإن لى فيكم حاجة ، فلما أتاه اشتمل عليه بملاءة ، ثم قال : « يارب هذا عمى ، وصنو أبى ، وهؤلاء أهل بيتى فاسترهم من النار كسترى إياهم بملاءتى هذه . . . رواه ابن غيلان وغيره ، ورواه الترمذى [1] وإلى تلك الحادثة يشير ابن المعتز ، ويرى أن العباسيين ورثوا ثياب النبى صلى اللّه عليه وسلم – وهى الخلافة ويلوم على العلويين أن يجذبوا أهدابها :

ونحن ورثنا ثياب النبى ... فلـمْ تَجْذِبـونَ بأهْدابِهـاَ [2]

وإذا كان العباسيون يستندون إلى قصة الكساء فى دعوى الخلافة فإن العلويين يروون قصة مماثلة ، فهم يرون أن المقصود من أهل البيت فى قوله تعالى : « إنما يريد اللّه ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » هم : (على وفاطمة والحسن الوحسين) . ذلك أن الآية نزلت والنبى فى بيت أم سلمة ، وهى جالسة عند الباب فقالت يارسول اللّه ألست من أهل البيت ، فقال إنك على خير ، إنك من أزواج النبى ، ثم أتى بكساء فجاء الحسن والحسين فأدخلهما فيه ، ثم جاءت فاطمة فأدخلها ، ثم جاء على فأدخله ، ثم دعا النبى بقوله : اللهم . هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » [3] .

نحنُ أهلُ الكِساء سادسنا الرُّو ... ح أمـين المهيْمِـنُ الجبَّـار [4]

ثم يرد على ابن المعتز فى قضية الثياب ، وما يدعيه من حق الخلافة ، ويتهمه بالجور فى القول ، والخطأ فى الحكم ، وعدم التفرقة بين المطية وراكبها :

لقد جار فى القول عبْدُ الاله ... وقاسَ المطايا بركَّابها
ونحن لَبسْنا ثيابَ النبىِّ ... وأنتم جَذَبتمْ بهُدَّابها
ونحـن بنـوهُ ووُرّاثـهُ ... وأهـلُ الوراثة أوْلى بها
وفينـا الإمامـة لا فيكـمُ ... ونحـنُ أحـقُّ بجلْبَابِها [5]

---

(١) الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية . تأليف يوسف بن اسماعيل النبهانى ، بيروت ، ١٣١٠ ، ص ١٦١ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٢٢

(٣) أثبت ذلك أئمة التفسير كالسيوطى فى الدر الثمينة فى الجزء الخامس ، والرازى وغيره وجماعة من المفسرين . راجع نظرية الامامة ، ص ١٨١ .

(٤) ديوان تميم ، ص ١٨٧ .

(٥) ديوان تميم ، ص ٨٠ .

ولا ينكر ابن المعتز على العلويين حق صلة الرحم بالرسول صلى الله عليه وسلم ولكنه ينكر حقهم فى الميراث :

لكمْ رَحِمٌ يابَنى بنْتِهِ ... ولكنْ بنو العمِّ أولى بها

وتثور ثائرة تميم لهذه المغالطة فيفندها بأسلوب لاذع ويتهم ابن المعتز ومن ردد هذه المقولة بالكذب والتزوير ، ويدعوهم إلى الاحتكام إلى كتاب الله وما قرره الإسلام فى شأن المواريث :

عجبت لمرتكبٍ بُغيةً ... غوىً المقالة كذّابها
يقولُ فينظم زورَ الكلام ... ويُحكمُ تنْميقَ إذْهابها
لكم حرمة يابنى بنته ... ولكن بنو العم أولى بها
وكيف يحوز سهامَ البنينَ ... بنُو العم أفٌّ لِغُصّابها
بذا أنزل اللّه أى القران ... أتعْمون عن نَصٍّ إسْهابها (١)

وقد أثار ابن المعتز وتميم قضية كانت مثارة من قبل ، فقد روى المبرد فى « الكامل » أن عبد الله بن أبى رافع أتى الحسن بن على بن أبى طالب فقال : أنا مولاك فقال فى ذلك مولى لتمام بن عباس يهذله ويعيره :

جحَدْتَ بنى العباس حقَّ أبيهمُ ... فما كنتَ فى الدَّعوى كريمَ العواقبِ
متى كان أولاد البنات كوارثٍ ... يحزن ويدعى والداً فى المناسب

يريد أن العباس أولى بولاء مولى رسول الله (ص) ، لأن العم يدعى والدا فى كتاب الله تعالى ، وهو يحوز الميراث ، وقال رجل أنشدت مروان بن أبى حفصة هذين البيتين فوقع عندى أنه من هذا أخذ قوله :

أنى يكونُ وليسَ ذاك بكائن ... لبنى البناتِ وراثةُ الأعْمام
ألفى سِهامَهُمُ الكتابُ فما لهم ... أنْ يَشْرَعُوا فيه بغيرِ سِهامَ

وقال طاهر بن على بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس للطالبيين :

لو كان جدكمُ هناك وجدْنَا ... فتنازعا فيها لوقتِ خِصامِ
كان التراث لجدنا من دونه ... فحواه بالقربى وبالإسلام
حق البنات فريضةٌ معروفة ... والعم أولى من بنى الأعمامِ (٢)

(١) ديوان تميم ، ص ٨١ .
(٢) الكامل للمبرد ، جـ ٢ ص ٧٦ .

ويروى صاحب كتاب الأغانى طرفاً من اللجاج فى هذه القضية أثاره الشعراء فى عهد الخليفة المهدى . فعندما عقد البيعة لابنه الهادى قال أحد الشعراء (جعفر بن عفان) :

يابن الذى ورثَ النبىَّ محمداً ... دون الأقاربِ من نوى الأرْحامِ
الوحى بينْ بنى البناتِ وبينكمْ ... قطع الخصام فلاتَ حينَ خصامِ
ما للنساء مع الرجال فريضة ... نزلت بذلك سورةُ الأنعامِ
أنىَّ - يكون وليس ذاك بكائن ... لبنى البنات وراثةُ الأعمامِ

فغضب الطالبيون ، ورد عليه شاعرهم محمد بن يحيى بن أبى مسرة بقوله :

لمْ لا يكونُ وإنَّ ذاك لكائنٌ ... لبنى البنات وراثةُ الأعمامِ
للبنت نصفٌ كاملٌ من ماله ... والعم متروكٌ بغير سهامِ (١)

وإذا كانت الأفضلية قدراً مشتركاً بين العباسيين والعلويين أو كانت دعاوى الفضل محوطة بشىء من الشكوك فإن ابن المعتز يلجأ إلى وسائل مختلفة يؤكد بها أحقية أهله فى الخلافة ..

ومن هذه الوسائل إدعاء الأهلية والكفاءة :

وما رَدَّ حُجَّابُها وافداً ... لنا ، إذْ وقفنا بأبوابها
كقطبِ الرَّحى وافقتْ أختَها ... دَعونا بها وغلبنا بها (٢)

ولا يكتفى بادعاء الأهلية ، وإنما يستشهد بالعلويين ، ويؤكد لهم معرفتهم بذلك الأمر ، فقد اضطربت أمور البلاد أشد الاضطراب ، ولكن العباسيين أخذوا بزمام الأمور .

وكانت تُزَلْزَلَ فى العالمينَ ، ... فشُدَّت إلينا بأطنابها
وأقْسِمُ أنكمُ تعلمون ... بأنَّا لها خَيْرُ أربابِها (٣)

ومادام العباسيون أنداداً لها ، وما دمتم تعلمون هذا حق العلم فدعوها لنا :

فدَعوا الملكَ نحن بالملك أولى ... قد أقرَّت لنا بذاك الخصُوم (٤)

ومن الوسائل التى لجأ إليها ابن المعتز تشكيك العلويين فى قدرتهم على القيام بأمرها ،

---

(١) الأغانى للأصفهانى ، جـ ٩ ص ٤٩ .
(٢،٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢ .
(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٩٤ .

مستدلا بتاريخ العلاقة بين العلويين والأمويين وموقف العباسيين من الفريقين ، فالعباسيون لم يتركوا الخلافة للأمويين على الإطلاق ، مع علمهم بأنهم غاصبون ، وإنما تركوها فترة من الزمان ، وكأن ذلك الترك كان باختيارهم فلما طال زمن الغصب وعجز العلويون عن استرداده ، نهض العباسيون به .

تركنَاكمُ حِينـاً فهـلاَّ أخـذْتم ... تُـراث النبـى بالقَـا والقوَاضِبِ

زمـانَ بنى حرب ومروانُ ممسكو ... أعنة ملـك جائر الحكم غاصِبِ (١)

ومن وسائل ابن المعتز فى اقناع خصومه لجوئه إلى الأقدار يفسر بها قيام الأمر الواقع ، ويستحث الأمويين على قبوله ، إذ لابد لنا من الرضا بما قدر الله وأراد :

عَطيةُ ملـكٍ قـد حَبَانـا بفضـله ... وقَـدَّره رب جزيـــل المواهـــب (٢)

ويترفق ابن المعتز بأبناء عمه ، علهم يرضون بهذا القضاء .

فمهـــلاً بنـــى عمنـــا إنهـــا ... عطيـــــةُ ربٍّ حَبانَـــــا بِهـــا (٣)

والقضاء الذى حبانا بها هو القضاء الذى حرمكم منها ، وليس على الله بمستعتب :

أبـى اللّـه إلاَّ مـا تـرونَ فمـا لكـمْ ... عتـابٌ على الأقـدارِ يا آل طَـالبِ (٤)

ولم ينهض العباسيون للقيام بهذا الأمر إلا بعد يقينهم بأن الأقدار أخطأت الطالبيين ، وبعد تأكدهم من أنه لا نصيب للعلويين فيها :

ولمـــا أبـــى اللّـــه أنْ تملكـــوا ... نهَضـــنا إليهـــا وقمْنـــا بهـــا (٥)

وهو فى سبيل تأصيل فكرة القضاء والقدر ، ومحاولة إقناع الخصوم بها يذكرهم فى نقاش هادىء بموقف المأمون منهم (٦) :

(١،٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٥٠ .

* ردد الاستعمار الفرنسى فى القرن العشرين هذه الفكرة ، وحاول إقناع المسلمين الجزائريين بها ، وراح ينشر ذلك الكلام على ألسنة عملائه من أتباع الطرقية – وهو اتجاه دينى معروف فى المغرب العربى – فهاجمهم الإمام عبد الحميد بن باديس هجوما عنيفا . راجع : ابن باديس ، حياته وآثاره ، إعداد وتصنيف عمار الطالبى ، جـ ٣ ، ط ١ الجزائر : مكتبة الشركة الجزائرية « مرازقة » ، ١٩٦٨ ، ص ١٤ .

(٣،٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٣ ، ص ٥٠ .

(٥) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٣ .

(٦) انظر هذا الكتاب ، ص ٤١ .

وأعطاكُم المأمون عَهدَ خلافة ... لنا حقُّها ، لكنه جادَ بالدنيا
ليُعْلِمَكمْ أن التى قد حرصتمُ ... عليها وغودرتُمْ على إثْرها صَرْعى
يسير عليه فقدُها غيرَ مكثرٍ ... كما ينبغى للصالحين ذوى التقوى
فمات الرضى من بعدِ ما قدْ علمْتُمُ ... ولاذتْ بنا من بعده مرة أخرى (١)

ويعود ابن المعتز إلى تأكيد فكرة التوافق فيصور عودة الخلافة إليهم بعد موت موسى الرضا بعودة العاشق المحروم إلى وطنه الذى يلقى فيه كل ما يهواه :

وعادتْ إلينا مثلَ ماعَادَ عاشقٌ ... إلى وطنٍ فيه له كلُّ ما يَهْوَى (٢)

ومن وسائل ابن المعتز – تشكيك العلويين فى شعبيتهم ، فبعد أن شككهم فى قدرتهم على القيام بأمر الخلافة راح ينكر عليهم هذا الحق من طريق آخر ، وهو أن الناس لا يريدون حكومتهم :

وليسَ يُريدُ الناسُ أن تملكوهمُ ... فلا تَثبوا فيهم وثوبَ الجنَادبِ (٣)

وتبدو قدرة ابن المعتز فى المغالطة واضحة هنا ، لأن العلويين لا يؤمنون بمبدأ اختيار الشعب لحاكمه ، وإنما يرون الخلافة نصاً وتعييناً ، والعباسيون لم يطبقوا الشورى مرة واحدة طوال حكمهم فلماذا يحتكم ابن المعتز إلى هذا المبدأ الذى لم يمارسه أهله ولا يؤمن به خصومه ؟ .

ومن وسائل ابن المعتز احتجاجه على العلويين بمبدأ « إتاحة الفرص » ففى رأيه أن العباسيين أعطوا العلويين فرصتهم مرتين : مرة يوم أن تولى على بن أبى طالب ، ومرة حين تركوهم يستردون حقهم من الأمويين وعملا بذلك المبدأ يقول ابن المعتز :

دُعونَا ودُنيانا التى كُلِفَتْ بنا ... كما قدْ تركناكم ودُنياكُم الأولى (٤)

أما تميم فإنه لم يتعقب وسائل ابن المعتز ويرد عليها بوسائل مثلها أو وسائل مغايرة ، وإنما راح يعدد فضائل الإمام على ، وبعض هذه الفضائل مقبول من أعدائه وبعضها موضع شك . وعلى الرغم من قبول ذلك البعض فإنهم يختلفون فى تفسيره ويعلل أحد الدارسين هذه الظاهرة بقوله : إن كل فرقة تروى من الأحاديث ما يوافق عقائدها حتى إن حديثاً تلتقى عند الاعتراف بصحته معظم الفرق الإسلامية وهو حديث « تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة » أثبتت كل فرقة بعد ذلك أنها الفرقة الناجية حسبما يوافق عقيدتها ، فإذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم – عن الفرقة

(١، ٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٢٣ ، ٢٤ .
(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٥٠ .
(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٥٠ .

الناجية كان الرد عند أهل السلف (ما أنا عليه وأصحابى ، وعند أهل السنة « المتمسكون بسنتى » وعند الشيعة « شيعة أهل النبى » بل عند المعتزلة تكون الفرقة الناجية هى الفرقة العدلية ») (١) .

وينتهى تميم من تعداد فضائل شيعته إلى رد مزاعم العباسيين فى حق ميراث الخلافة ردا ً عاما ً :

يا بنـى هاشـم أليسَ علـىٌّ ... كاشف الكرْب والرزايا الكبارِ
فبـماذا ملكتـم دوننـا إر ... ث نبىِّ الهدى بلا استظهارِ
أيقربى ؟ فنحـن أقـرب للمو ... روث منكم ومن مكان الشعارِ
أم بـإرث ورثتمـوه ؟ فإنـا ... نحن أهلُ الآثار والأخطارِ (٢)

وسائل التفاخر

لعل أهم مايميز فخر ابن المعتز وتميم عن الفخر فى النقائض المعروفة لدى غيرهما من الشعراء أن الشاعرين يلتقيان فى عديد من المآثر ولكنهما يختلفان فى وجهة النظر إليها أو يطوعانها لغرض خاص ، وكان للذاتية بتكوينها وظروفها أثر واضح فى استغلال المواقف والحديث عنها ، وقد تبادل كلا الشاعرين الفخر بالذات حينا ً والفخر بالانتماء إلى جهة معينة حينا ً آخر وكلا الموقفين شديد الصلة بمحك النقائض.

الفخر الذاتى

امتاح ابن المعتز مفاخره الذاتية من ينبوعين أحدهما الموروث عن التراث العربى الذى ردده الشعراء السابقون من قيم وأخلاق ، وثانيهما مكونات شخصيته بأبعادها السياسية والاجتماعية والنفسية ، فمن منطلق إحساسه بأهليته للخلافة دون سائر بنى العباس راح يزهو بنفسه متساميا ً على الافتخار بجوزه المعالى :

قـد تردّيْتُ بالمكـارم دهـراً ... وكفتْنى نفسى من الافْتخَار (٣)

ويجاريه تميم فى هذا الموقف فهو يعلو بنفسه على العلويين والفاطميين متطلقا ً من إحساسه بعظمة الشاعر ودوره فى إرساء دعائم الحكم والذب عن الخلافة :

(١) نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشرية . أحمد محمود صبحى ، ص ٢٤٧ .
(٢) ديوان تميم ، ص ١٨٨ .
(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٧ .

أبني علىَّ إنْ نكنْ نُنْمَى إلى ... حَسَبٍ أنافَ بنا وَجدٌ أروعاَ
فلقد علمتم أننى رُضْتُ العلا ... يَقَعاً وحاولتُ المكارمَ مُرضِعاَ
أرْمى معاديكمْ وأجْبُرُ صَدْعَكُمْ ... وأذبُّ عن أعْراضكُمْ متورّعاَ
فدعوا لى الذى شيدته ... إذْ هضمتموه فانطفاَ وتَضَعْضَعاَ (١)

والقيم التى رددها الشاعران وافتخرا بها امتداد للقيم الموروثة عن الشخصية العربية .

فابن المعتز يفتخر بالكرم وقرى الضيف وإيقاد النار تحت القدور ليلا ليهتدى به مسافر الليل وشرود الصحراء :

وقدورٍ كأنهنَّ قُرُومٌ ... هدَرتْ بين جِلّةٍ وبكارِ
فوق نارٍ شبعى من أحطب الجزْ ... لِ ، إذا ما التظَتْ رمتْ بالشَّرارِ
فهى تعلو اليفاعَ كالرايةِ الحمـ ... ـراءِ تَقْرِى الدجى إلى كل سارِ (٢)

ويذكر قصة الطارق المستجير :

وداعٍ دَعا والليلُ بينى وبينَهُ ... فكنتُ مكانَ الظنِّ منه وأفْضَلاَ (٣)

وعلى الوتر ذاته يضرب تميم متتبعاً تفاصيل القصة الجاهلية :

وطَروقِ ليلٍ فاتَهُ مستنْبحاً ... حقٌّ يُخيلُ من العواء سَمَعْمَعاَ
أوقدتُ نارى باليفاعِ لعينه ... ودعوتُه وَهْنا إلىَّ فأوضعَا
وقريته بِشْرى قبات ممهّداً ... وألمَّ غِرْثانا فألفى مُشْبَعاَ (٤)

ولا يكتفى بذلك الكرم بل يتتبع القصة بمضامينها المختلفة فيشير إلى نصرة المستغيث وإجابة المضطر إذا دعاه :

ولربَّ مضطرٍ دعانى صارخاً ... يرجو ندايَ ونُصْرتى متكنّعاَ
لبيتُه متسرِّعاً ومطرتُه ... متدفّعاً ، ونصرْتُه متطوّعاَ (٥)

ويفتخر ابن المعتز بالحلم والرزانة ، ولعل أصدق مواطنهما فى الشدائد التى تطير لها أحلم العقلاء :

---

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمى ، ص ٢٧١ . وفى موضع آخر يقول (يابنى فاطم إلى كم أقيكم بلسانى ومنصلى وانتصارى) ديوان تميم ، ص ١٨٨

(٢،٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٧٥ ، ص ٣٨٥ .

(٤) ديوان تميم ، ص ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(٥) المرجع السابق .

وَمَلِيٍّ بصمتهَ الحلْم إن طا رَتْ سريعا مثل الفراش الحلوم (١)

ويرتبط بالرزانة الصبر على مكابدة العدو ومكره

أخْزِنُ الغيظَ فى قلوبِ الأعادِى وأحلُّ الجبارَ دار البَوار(٢)

ويختار تميم مواقف أخرى ليثبت لنفسه صفة الرزانة ، وهى الثبات والاتزان العاطفى فى السراء والضراء :

لا تبطر السراء بى خلقا ولا أغدو على ضرائها متخشعا(٣)

ويرتدى ابن المعتز مسوح النساك المتهجين بالليل ليعبر عن تمسكه بدينه :

أنا من تعلمون أسهر للمسجد إذا غط فى الفراش اللئيم (٤)

ويتشح تميم برداء آخر من أردية التدين أيضاً هو الوفاء بالوعد :

وإذا وعدتُ وفيتُ لا متبرِّماً وإذا هممت فعلت لا متوقعا(٥)

وكان للفخر بالشجاعة والفروسية أكبر نصيب من بين القيم التى افتخر بها الشاعران ، فابن المعتز يصور نفسه جيشاً بمفرده :

أنا جيش إذا غدوت وحيدا ووحيد فى الجحفل الجرار(٦)

ويمارس الفروسية بإعداد الجيوش وتدريبها :

وأعددت للحرب العوان مهنداً وأسمرخَطِّيا إذا هزَّ أرقلا

وجيشا كركن الطَّود رحْباً طريقهُ إذا ماعلا حزْنا من الأرض أسْهلاَ (٧) *

ويمتطى صهوات الخيل السريعة العدو فى طرقات الليل الموحشة :

ولقد أهْتدِى على طرُق الليـ ـلِ بذى ميْعةٍ كميْتِ مُطار

بلُّ الركضُ جانبيْه كما فا ضتْ بكفِّ النديمِ كأسُ العُقارِ (٨)

(٢،١) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٤٩ ، ص ١٩٦ .

(٣) ديوان تميم ، ص ٢٧٢ .

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٩٤ .

(٥) ديوان تميم ، ص ٢٧٢ .

(٦) ديوان ابن المعتز ، ص١٩٧ .

(٨،٧) المرجع السابق ، ص ٣٨٥ ، ٢٩٦ .

ويتفقد أسلحة جيشه المتعددة :

ولى الصافناتُ تردَى إلى المو ... ت ولا تهتدى سبيلَ الفرارِ
وسيوفٌ كأنها حين هُزَّتْ ... ورقٌ هزَّها سقوطُ القطارِ
ودروعٌ كأنها شمط الجعْـ ... ـد وهيناً تضل فيها المدارى
وسهام تُرْدى الدرى من بعيد ... واقعاتٌ مواقعَ الأبْصارِ (١)

ولا يقل افتخار تميم بشجاعته وفروسيته عن ابن عمه عبد الله بن المعتز فهو يخوض الوغى يفرق شمل كتائب الأعداء :

وكتيبة فرقتها وشدائد ... فرجتهن ولم أبت متضجعا
أقبلتها بيض السيوف عوارياً ... يومَ الكريهةِ والعوالى شُرَّعاً (٢)

ويحاول تميم أن يتخذ من صفة الفخر الذاتى بالفروسية صفة ذات طابع جماعى يعممها على آله العلويين .

الفخر بالانتماء

تعددت مظاهر هذا الفخر عند الشاعرين ، واتفقا فى الانتماء إلى الهاشمية والنبوة ثم افترقا فى الانتماء إلى على ونسله والدولة الفاطمية ، وإلى العباس وأحفاده من الخلفاء العباسيين .

وعلى الرغم من الاتفاق فى النسب إلى هاشم والنبى الكريم فإنهما اختلفا فى وسيلة ذلك الانتماء وقدره وأصبح مجال النقائض فى هذه الوسيلة وذلك القدر .

الانتماء إلى هاشم بن عبد المطلب :

ردد ابن المعتز فى شعره افتخاره بالنسب إلى هاشم بن عبد مناف سيد قريش . ولما كان منافسوه العلويون ينتسبون إلى هاشم فإن ابن المعتز ينطلق من نقطة اختلاف النسب فهو هاشمى، ولكنه خص بفرع من بيت هاشم لا يلحقه العار (٣) لأنه عامر بالأمجاد :

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٢) ديوان تميم ، ص ٢٧١ .

* حزْنا : أى مرتفعا من الأرض .

أسْهلا : نزل إلى المنبسط من الأرض .

شمط : أى مختلط سواده ببياضه ، والجعد : الشعر الملبد ، والمقصود بالمدارى ما يمشط به الشعر.

(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٦ .

هاشميٌّ إذا نسبتُ ومخصـ ... ـصٌ ببيتٍ من هاشمٍ غيرِ عارِ

وكما انتسب ابن المعتز إلى هاشم انتسب تميم أيضاً وادعى أنه أفضل من غريمه في ذلك الانتماء .

يابنى هاشمٍ ولسنا سواءً ... في صغارٍ من العلا أو كبارِ
إن نكن تنتمي لجدٍّ فإنا ... قد سبقناكمُ لكلِّ فخارِ(١)

ولما كان العلويون ينتسبون إلى هاشم من الأب والأم فإنهم يعتبرون أنفسهم سادة بنى هاشم :

ألسنا لُبابَ بنى هاشمٍ ... وسادتكمْ عندَ نسّابِها
ألسنا سبقنا لغاياتِها ... ألسنا ذهبنا بأحسابِها (٢)

ويعترف تميم لخصومه بشرف النسب إلى هاشم لأن هذا الشرف قسمة مشتركة بينهما ولكن العلويين يتفوقون لأسباب غير هذا الانتماء :

فإنْ تكُ هاشمٌ قدْ عدلتْ ... منابتنا في عنا صيرها
فما نستوي في الحجا والندى ... وطيِّ الأمورِ ومنشورِها (٣)

وأمام اعتراف تميم بشرف النسب إلى هاشم لم يجد بداً من إفساده على خصومه لا بالقدح فيه ، وإنما بربط هذا الشرف بالعلويين ، فهو نسب شريف لأنه استمد هذا الشرف منهم :

نحن الذين بهم تسامت هاشمٌ ... حتى حوت شرف المعالى أجمعاً (٤)

ومن ثم أطلق تميم على أهله أنهم صفوة بنى هاشم :

واسْمُ إلى الصفوةِ من هاشمٍ ... أهلِ معاليها وتقديسِها (٥)

الانتماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

حرص ابن المعتز أن يميز نسب العباسيين إلى الرسول الكريم كحرصه على تمييز انتمائهم إلى هاشم فقد وصفهم بأنهم آل الرسول الحقيقيون لا المزعومون :

أيُّها السائلى عن الحسب الأطيبِ مافوقه لخلْقٍ مَزيدُ

---

(١) ديوان تميم ، ص ١٨٦ .
(٢) ديوان تميم ، ص ٨١ .
(٣) ديوان تميم ، ص ، ١٦٦ .
(٤،٥) ديوان تميم ، ص ٢٦٩ ، ص ٢٤٦ .

ويمزج ابن المعتز فخره بالنبوة بأسباب اتصاله بها ويزهو فخراً بالنسبين معاً :

نحن آل الرسول والعترة الحـ ـق وأهل القربى فماذا تريد *
نمتُنى إلى عَمِّ النبيِّ خلائقٌ عَلَوْا فوق أفلاكِ الكواكبِ والبدْرِ **

ومن معين النبوة استمد تميم مفاخره أيضاً من جوانب عدة حاول فيها أن يتفوق على غريمه فى هذا الانتماء أيضاً ، ويكرر فكرة الانتماء من جهتى الأب والأم :

إنـــــا لأمٍّ وَلأبْ يجمعنا خيـر نَسَبْ
إلـى النبـيِّ المنتخَبْ مـن آلِ عبـد المطّلبْ (١)

وهم رهط النبى وآله وبنوه المفضلون :

رهـط النبـيِّ وآلـهُ وبنـوهُ مـنْ دون البنـينَ ونبتـهُ متَزعـزعـاً
والمصطفَيْنَ المرتضَيْنَ من الورَى والمفْضَلِينَ بمـا حَوَوْهُ تَسَرُّعاً (٢)

ويحرص تميم على إثبات هذا النسب لأهله فيمتدح أخاه العزيز قائلا :

فيا ابن رسول الله وابن وصيِّه وحَسَبُكَ ذا جـد وحسب ذا أبْ
إذا عُجمَتْ عيدانُ قومٍ فأخْلَقَتْ تفجرَ من عِيدانكَ الماءُ والضَرَبْ (٣)

وتميم وإن اعترف لخصومه بالانتماء إلى النبى لكنه ليفسد عليهم مفاخرهم يدعى التفوق أيضاً فى هذا الانتماء فالعباسيون ينتمون إلى النبى من قرابة العمومة ، أما العلويون فإنهم ينتمون من قرابتين هما العمومة والأبوة :

ألَكُـمْ حُرمَـةٌ بعـمِّ رسـولِ اللـ ـه ليستْ فيكمْ بـذات تَـوارِ
ولنا حرمـةُ الـولادة والأعْمـام والسَّـبْق والهـدَى والمَنَـار (٤)

الانتماء إلى العباس بن عبد المطلب :

تعقب ابن المعتز فضائل جده العباس وهى الفضائل التى لا يشاركه فى الفخر بها خصومه

---

* ديوان ابن المعتز ، ص ١٣٧ ، ص ١٩٤ ، ط بيروت .
** السابق ، ص ١٧١ ، ط بيروت .
(١،٢) ديوان تميم ، ص ٧٣ ، ص ٧٤ ، ص ٢٦٩ .
(٤،٣) ديوان تميم ، ص ٦٣ ، ١٨٧ .

العلويون ، وقد وجد فى سيرة جده مناقب عديدة منها موقفه فى بيعة العقبة الثانية ، فقد خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن قد أعلن إسلامه بعد وتحدث إلى الأنصار قائلا : « إن محمداً من قد علمتم وقد منعناه من قومنا ، نحن وهو على مثل رأينا فيه ؛ فهو فى عز من قومه ، ومنعة فى بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه ، فإنه فى عز ، ومنعة من قومه وبلده » (١) .

وبهذا أسهم العباس منذ بداية الدعوة المحمدية فى نشر لواء الإسلام وتخليص الحجاز من براثن الشرك : ومن فضائل العباس التى تعقبها ابن المعتز ما يروى عن استسقاء الفاروق عمر بن الخطاب بالعباس فى عام الرمادة ، وإلى هذا يشير ابن المعتز فى قوله :

به غسل الله محل الحجاز وأبرأها بعد أوصابها (٢)

ومنها كتمانه إسلامه وبقاؤه فى مكة حتى يكون عينا للرسول على أعدائه المشركين دون أن يفطنوا إليه ، قال ابن إسحاق :

وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كنت غلاماً للعباس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه » (٣) .

وإلى هذه المأثرة يشير ابن المعتز بقوله :

كانَ فيهمْ منّا المُكَاتمُ إيمانا وفرعونُ غافلٌ والجنودُ (٤)

وكان لهذا الدور الخطير الذى قام به العباس آثاره العديدة فى مسيرة الدعوة والغزوات وقيام الدولة ، فقد أقام العباس بمكة يكتم إسلامه ، ويكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – أخبار

(١) : (أ) السيرة النبوية لابن هشام . القسم الأول ، ص ٤٤١ .

(ب) الإصابة فى تمييز الصحابة . لابن حجر العسقلانى . تحقيق : على محمد البجاوى جـ ٣ : دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٠ .

(٢) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ، قسم أول ، ص ٦٤٦ .

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٥٥ .

المشركين ، وكان من بمكة من المسلمين يثقون به ، وكان لهم عوناً على إسلامهم وأراد الهجرة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فقال له : مقامك بمكة فأنت آخر المهاجرين كما أنى آخر الأنبياء [1] :

ولولاه ما قرَّتْ بطيبةَ هجرةٌ ولولاه لم تَجرِ الجيادُ على بدْرِ

أقام بدار الكفر عيناً على العِدى ينبىَّ نبىُّ اللهِ بالكيْدِ والغدْرِ [2]

فقد خرج العباس مع المشركين فى غزوة بدر لا ليعينهم ولكن ليتجسس عليهم ، وقد روى ابن إسحاق عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه فى غزوة بدر إنى قد عرفت أن رجالا من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقى منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله . . . ومن لقى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرهاً ؛ [3] .

يشير ابن المعتز إلى مكانة العباس من قلب الرسول صلى الله عليه وسلم وحبه له ، فقد خرج العباس مع المشركين فى غزوة بدر ، وأسر يومئذ فيمن أسر ، وكان قد شد وثاقه ، فسهر النبى صلى الله عليه وسلم تلك الليلة ولم ينم ، فقال له بعض أصحابه : ما يسهرك يانبى الله ؟ فقال : أسهر لأنين العباس فقام رجل فأرخى وثاقه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالى لا أسمع أنين العباس ؟ فقال الرجل : أنا أرخيت من وثاقه فقال رسول الله (ص) فافعل ذلك بالأسرى كلهم :

لذلكَ لم ترقدْ جفونُ محمدٍ نبىَّ الهدى حتى أُريحَ من الأسْرِ [4]

ولا ينكر تميم على ابن المعتز افتخاره بإسلام العباس سراً ، ولكنه يقارن بين موقفين موقف على وموقف العباس ، فعلى سيف الله المدافع جهارا عن الرسول وكان فى بدر ينود الكتائب ويرد الأعداء ولا يستوى موقف المجاهر بالعداء المتعرض للأعداء والمدارى أمره سلامة وأمناً :

---

(١) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، جـ ٣ ص ١٥٢ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، قسم أول ، ص ٦٢٩ ، الاصابة فى تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلانى ، جـ٣ ص ٦٣١ .

(٣) أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، ص ١٦٤ ، ١٦٥

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ .

أعباسكمْ كان سيفَ النبىّ إذا أبدتِ الحربُ عن نابِها
أعباسكمْ كانَ فى بدْرِه يذودُ الكتائبَ عن غابِها
أعباسكم قاتلَ المشركينَ جُهاراً ومالك أسْلابِها (١)

ومنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم كرم العباس يوم أن رد عليه أصول ماله ولم يرد عليه الفضل لأن الفضل ربا فكان أول رجل يطبق عليه تحريم الربا فى الإسلام . وقد روت كتب السيرة أن العباس كان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان يستعمل فيه الربا ولم يكن الربا محرماً حتى أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم تحريمه فى خطبة الوداع وبدأ بتطبيقه على عمه العباس فقال « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ألا هل بلغت ؟ . اللهم اشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها وإن ربا الجاهلية موضوع وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس ابن عبد المطلب » (٢) . وإلى هذه المكرمة يشير بن المعتز :

وردٌ عليهِ مالَه دونَ غيرِه فإن كنتَ ذا جهْل فسَلْ كلَّ ذى خُبْر (٣)

ومنها موقف العباس فى غزوة حنين ، وهى الغزوة التى أعجب فيها المسلمون بكثرتهم فحلت بهم الهزيمة قال تعالى : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين » .

وروى ابن أسحاق أن العباس بن عبد المطلب قال : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بخطمة بغلته البيضاء ، وكنت امرءاً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس : أين أيها الناس فلم أر الناس يلوون على شىء ، فقال يا عباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب السمرة قال : فأجابوا : لبيك ، لبيك . . . حتى إذا اجتمع إليه منهم مئة استقبلوا الناس فاقتتلوا (٤) » .

يشيد ابن المعتز بموقف جده العباس قائلا :

(١) ديوان تميم ، ص ٨٠ .
(٢) جمهرة خطب العرب . جـ ١ ، ط ١ الحلبى مصر ، ١٩٦٢ ص ١٥٦ .
(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ .
(٤) السيرة النبوية لابن هشام ، قسم ثان ، ص ٤٤٤ ، ٤٤٥ .

وأبونـا حَامـي النبـيِّ وقـد أدْ ... برَ مـنْ تَعلمـونَ وهـوَ يـذُودُ
ذاكَ يومَ اسْتَطارَ بالجمـعِ ردعٌ ... فـي حُنَيْـنٍ وللوطيـسِ وقـودُ [1]

ويتخذ ابن المعتز من القصص التي أثيرت حول هذه الغزوة وسيلةً لإثبات الكرامة لجده العباس فقد روى الطبري حديثاً مرفوعاً إلى جُبير بن مُطْعَم ، قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثل البِجَاد الأسْود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي فلم أشك أنها الملائكة ولم يكن إلا هزيمة القوم » [2] .

ولا غرابة في نصرة الرسول بالملائكة وهم جنود الله لكن ابن المعتز يوظف هذه القصة في فخره بالعباس وإسناد المكرمة إليه إذ يربط بينها وبين استبساله في الدفاع بين يدي الرسول فعندما رفع العباس أكفانه على يديه وتقدم للموت نزلت الملائكة تفتديه :

ولمـا عَـلا الحَبْـرَ أكفانَـه ... هـوى ملـكٌ بيـن أثـوابِها [3]

ولم يكتف ابن المعتز بالفخر وإنما راح يعرض بالعلويين ويتهمهم بالتخلي عن الرسول في تلك الموقعة فالعباس وراءهم وقد ولوا الأدْبار .

ويـوم حُنَينٍ حـينَ صـاح وراءَكُمْ ... فجئتمْ وكان الموتُ أقربَ من شِبْرِ
ويامعشرَ الأنصارِ مَنْ كان عاقداً ... ببيعتكمْ والدينُ في قبْضة الكفْرِ [4]

ويغالي ابن المعتز في اتهام العلويين بالتخاذل في ذلك اليوم ويسفر عن اتهامه الحقيقي لهم بالتداعي :

ويـومَ حُنـينٍ تداعيتـمُ ... وقـد أبـدَتِ الحـربُ عـن نابِهـا [5]

ويرد تميم هذه المفخرة على ابن المعتز ويفسر موقف العباس في غزوة حنين بأنه فرار من مواجهة الشفار أما (عليٌّ) فقد خاض غمار الموت يضرب رؤوس الأعداء ويدافع عن الرسول :

أوْ جَعلتمْ نداءَ عبـاسَ في الحـر ... بِ وقـد فـرَّ عـن لقـاء الشـفارِ
كوقوفِ الوصـيِّ في غَمْـرةِ المو ... ت لضـرب الرؤس تحـتَ الغُبَـارِ [6]

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ١٥٥ .
(٢) تاريخ الطبري ، جـ ٣ ص ٧٧ .
(٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٣ .
(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ .
(٥) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٢ .
(٦) ديوان تميم ص ١٨٧ .

ومنها رئاسة قريش وعمارة المسجد الحرام وفيه الحجر الأسود وقد اتخذ ابن المعتز من هذه الحقيقة التاريخية مدعاة إلى تفضيل العباس على سائر الناس .

أبو الفضلِ أولى الناسِ بالفضلِ كلِّهِمْ تعالَوْا نحاكِمْكُمْ إلى البيتِ والحَجَرْ (١)

ويرد عليه تميم تلك المفخرة أيضاً محتجاً بالآية الكريمة « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر » .

أجعلتمْ سَقْيَ الحجيجِ كمنْ آ مَنَ باللّهِ مؤمناً لا يُدارِي (٢)

ويجترئ تميم في هذه المناقشة فهو لا ينكر على ابن المعتز ما ردَّده حول إسلام العباس سراً ، ولكنه لا يستطيع التسوية بين من جاهر بإسلامه ، ومن أخفاهُ .

الانتماء إلى علي بن أبي طالب وأهله :

ذهب الشيعة إلى أن عليا أفضل العالمين بعد الرسول ، واستحق هذا التفضيل لقرابته من الرسول قرابة متعددة الجهات فهو خِدْنُه وابنُ عمه ، وزوج ابنته ، وأخوه يوم آخى بين المهاجرين والأنصار ووالد سبطيه الحسن والحسين (٣) .

أفضلُ العالمينَ بعدَ الرسولِ عندَ أهلِ التمييزِ والتحْصيلِ

خِدْنُه وابنُ عمِّه وأخُوه وأبو سِبْطَيْه وزوجُ البتُولِ (٤)

وتميم بن المعز يفتخر بانتمائه إلى علي وفاطمة وابنهما ويشيد بهذا الشرف الرفيع الذي توارثه الأبناء عن الآباء :

شرفٌ بنْتُهُ لنا البتولُ وبعلُها وأبناهُما حتى رسَا وتمنَّعَا

واسْتَوْدَعُوهُ بعدهُمْ أبناءَهُمْ فبنُوا عليهِ وشَيَّدُوا المُسْتَوْدَعَا (٥)

ويذكر تميم على خصومه أن يتساووا معه في شرف الانتماء مثل الانتماء إلى علي وفاطمة :

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ . وانظر : أسد الغابة جـ ٣ ص ١٦٤ .

(٢) ديوان تميم ، ص ١٨٧ .

(٣) راجع فضائل الامام علي وابنيه الحسن والحسين في كتاب : الشيعة ، ٨ الميزان ، محمد جواد مغنية لبنان : دار الشروق ، ص ٢١٤ ، ٢٢٠ ومابعدها

(٤،٥) ديوان تميم بن المعز ، ٣٥٥ ، ٢٧٠

وما لكمُ كوصيِّ النبيِّ أبٌ فترامَوْا بنُشّابِها
ألسنا سبَقْنا لغاياتِها ألسْنَا ذهبْنا بأحْسابِها (١)

وفى أكثر من موضع يردد تميم انتماءَ إلى علّى وفاطمة ، وكأنه يدافع بهذا عن التهم التى حاكها أعداء الفاطميين حول صحة نسبهم ، فنراه حينما يمتدح أخاه العزيز يدعوه بابن على وفاطمة والرسول تأكيداً لفكرة الانتماء إليهم :

فيا ابن الوصىْ ويا ابـن البَتُول ويا أبن نبىِّ الهدى المصطفَى
ويا ابـن المشاعرِ والمروَتَيْنْ ويا بْنَ الحطيمِ ويا بْنَ الصَّفَا *
لك الشرفُ الهاشِميُّ الذى يقصِّر عنه عُلا مَنْ عَلاَ (٢)

ويعدد تميم فضائل جدِّه على بن أبى طالب وهى كثيرة فسيرته ملينة بالأمجاد وزادها الشيعةُ أمجاداً بتأويلهم وتفسيرهم بعضَ آيات القرآن الكريم وأحاديث السنة الشريفة . وأول تلك الفضائل سبقه إلى الإسلام صبيا *

ومن له الفضل والتقدم فى الإسـ ـلام والناس شيعةُ الكُفّارِ ؟؟ (٣)

ومنها مصاهرته الرسول صلى اللّه عليه وسلم بزواجه من فاطمة الزهراء ، ومنا مؤازرته الرسول صلى اللّه عليه وسلم فى كل الشدائد :

من له الصِّهْرُ والمواسَاة والنصْـ ـرةُ والحربُ ترتمى بالشَّرارِ (٤)

ومنها المؤاخاة :

(٢،١) ديوان تميم بن المعز ، ص ٨١ ، ١٢ .

* أول الفاطميون مناسك الحج ومشاعره على أنها صفات أريد بها على بن أبى طالب والأئمة بعده ديوان تميم ، هامش ص ١٢ .

* يروى ابن الأثير فى كتابه أسد الغابة عدة روايات تؤكد أن الامام على كان أسبق الناس إلى الإسلام ويقول أنه أول الناس إسلاما فى قول كثير من العلماء . أنظر : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، ابن أثير ، جـ ٤ ص ٩١ .

(٣) ديوان تميم ، ص ١٨٦ .

(٤) ديوان تميم ، ص ١٨٦ يروى ابن الأثير فى فضائل على أنه كان صاحب راية الرسول (ص) فى وقت القتال . أنظر : أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، جـ ٤ ، ص ٩٧ .

من دعـاه النبى خدْنـاً وسـماً ... هُ أخـاً فى الخفـاءِ والإظهـارِ (١)

ومنها اختصاصه بالدعاء له وتكريمه والإيصاء له يوم الغدير :

ثـم يـومُ الغَديـرِ ما قـد علمتمْ ... خَصَّـه دونَ سـائرِ الحُضَّـارِ (٢)

ومنا المباهلة :

ويمـن بَاهَـلَ النبـىُّ أأنتـمْ ... جُهَـلاءٌ بواضـحِ الأخْبـار

أبعبـدِ الإلـهِ أمْ بحسـنَيْنِ ... وأخيـهِ سـلالةِ الأطْهـارِ (٣)

---

(١) المرجع السابق أخى الرسول – ص – بين المهاجرين مرة وبين المهاجرين والأنصار مرة أخرى ، وقال لعلى فى كل واحدة أنت أخى فى الدنيا والآخرة . أسد الغابة فى معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، جـ ٤ ، ص ٩٦ .

(٢) المرجع السابق يرى الشيعة أن النبى صلى الله عليه وسلم نص على امامة على من بعده يوم غدير خم وذلك بعد حجة الوداع . قال عبد الرحمن بن أبى ليلى شهدت عليا فى الرحبة يناشد الناس : من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول يوم غدير خم من كنت مولاه فعلى مولاه فقام اثنا عشر بدويا فقالوا نشهد أنا سمعنا رسول الله – ص – يقول يوم غدير خم : ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجى أمهاتهم ؟ قلنا : بلى يارسول الله فقال من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . أسد الغابة ، لابن الأثير ، جـ ٤ ص ١٠٨ .

(٣) روى جابر بن عبد الله أن وفدا من نصارى نجران قدم على النبى فقالوا يامحمد أخبرنا منْ أبُو مُوسَى ؟ فقال : عمران ، قالوا : وأنتَ من أبوك ؟ قال : عبد الله بن عبد المطلب ، قالوا : فعيسى من أبوه ؟ فسكت النبى ينتظر الوحى فنزل قوله تعالى : « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » فقالوا : انا لا نجد هذا فيما أوحى إلى أنبيائنا فقال : كذبتم ، فنزل قوله تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ماجاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ، قالوا : أنصفت فمتى تباهلك ؟ قال : غدا ان شاء الله .. ثم بعث النبى الى أهل المدينة ومن حولها . . وخرج رسول الله وعلى بين يديه والحسن عن يمينه والحسين عن شماله ، وفاطمة خلفه ، ثم قالوا علموا فهؤلاء أبناؤنا وأشار الى الحسن والحسين ، وهذه نساؤنا يعنى فاطمة ، ثم قالوا وهذه أنفسنا يعنى نفسه . وأشار إلى على ، فلما رأى القوم ذلك خافوا وقالوا يامحمد أقلنا أقالك الله ، فقال : والذى نفسى بيده لو ابتهلوا لامتلأ الوادى بهم نارا . أنظر تفسير سورة آل عمران آية ٦١ فى كتاب روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المعانى لشهاب الدين الألوسى جـ ٣ ص ١٦٦ ط ادارة الطباعة المنيرية القاهرة .

ويفسر الشيعة قوله تعالى : « أنفسنا وأنفسكم » بأن المراد بالنفس هو على والمراد : أن نفس على مثل محمد وهذا يقتضى المساواة فيما عدا النبوة .

راجع نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنا عشرية ، ص ١٧٧ .

ومنها تكسير الأصنام يومَ فتحِ مكة :

وأولُهـــا مؤمنـــاً باللـــهِ وأولُ هـــــادمٍ أنْصـــابِهـا (١)

ومنها موقفه من الرسول يوم الهجرة :

من توطأ الفـراشَ يخْلُـفُ فيـهِ أحمداً وهـْو نحـوَ يثـربَ سـارِ

أين كان العباس إذ ذاك فى الهجْـ ـرةِ أم فى الفراشِ أم فـى الغارِ (٢)

ومنها جهادُه فى سبيل الله وشهودُه الغزوات وبطولتهُ يومَ بدر فى فتح خيبر .

وَاسْألوا يومَ خيبرٍ وَاسألوا مكّة عن كرِّهِ على الفُجّارِ

واسألوا يومَ بدرَ مَنْ فارسُ الإسلامِ فيهِ وطالبُ الأوتارِ (٣)

ومنها اختصاصهُ بعلم الباطن :

أعباسـكم شـــرح المشـــكلاتِ وفتْـــح مقْفـــلَ أبْوابِهـــا (٤)

(٣،٢،١) ديوان تميم ، ص ٨٠ ، ١٨٧ ، ١٨٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٠ . يشرح قاضى قضاة الخليفة الفاطمى المعزلدين الله « النعمان بن محمد » فى كتابه تأويل الدعائم « اختصاص الوصى بعلم الباطن في مذهب الشيعة بقوله : ان مثل الولاية مثل أولاطق وقد جمع الله له علم النبيين ، وكان مستودعا عنده مستورا باطنا ، وعنه انتقل الى واحد بعد واحد من أنبياء الله وأئمة دينه . وكل من أثبت ولاية الأمة من أهل بيت رسول الله – ص – بالحقيقة أثبت حقيقة العلم الباطن ، ومن أنكر ولا يتهم أنكر الباطن ، ولأن العلم بالباطن لا يوجد الا عند الأئمة صلى الله عليهم وسلم ، وهم خزنة علمه وهو معجزتهم أبانهم الله بعلم التأويل كما أبان جدهم محمدا صلى الله عليه وسلم بالتنزيل وجعله معجزته وأعجز الخلق جميعا أن يأتوا بمثله ، وكذلك أعجزهم عن علم التأويل وجعله فى أئمة دينه من آل الرسول » وفى موضع آخر يذكر قول الرسول – ص – « انا مدينة العلم وعلى صلى الله عليه وسلم بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب ومنه قوله تعالي : « واتوا البيوت من أبوابها » .

أنظر : تأويل الدعائم . النعمان بن محمد . تحقيق : محمد حسن الأعظمى ، الجزء الأول ، القاهرة ، دار المعارف ، ص ٦١ ، ص ٨٦ .

ويروى أن عليا قال لرسول الله – ص – حين بعثه إلى اليمن . تبعثنى إلى اليمن ويسألوننى عن القضاء ولا علم لى به . فقال ، أدن ، فدنوت ، فضرب بيده على صدرى ، ثم قال : اللهم ثبت لسانه واهد قلبه . انظر ، أسد الغابة لابن الأثير جـ ٤ ص ٩ وصحيح البخارى « كتاب فضائل أصحاب النبي (صلعم) ، باب مناقب على رضى الله عنه .

خامساً : ومن حيث الشكل فإننا نلاحظ عدة أمور : منها أن نصوص الشعر التى تناولها الشاعران – هنا – لم تتفق كلها فى البناء الفنى لشروط النقيضة وذلك لأن هدف المناقضة هنا ارتبط بمدلول آخر هو الدفاع عن المذهب العقائدى ، من خلال الموقف الأسرى فبعض النصوص جاء متفقاً مع البعض الآخر ، والآخر لم يلتزم بكل المقومات الفنية للنقيضة .

ومنها أن الهجوم والدفاع فى هذه النقائض لم يرتبط بعمل فنى محدد عند كلا الشاعرين ، فمن خلال أحاديثهما عن موضوعات مختلفة تلوح عدة أبيات تعكس موقف الشاعر من هذه القضية أو تلك ، ومنها أن غرض المديح هنا يمثل عنصراً ثالثاً يقف على قدم المساواة مع عنصرى الفخر والهجاء اللذين قام عليهما فن النقائض المعروفة فى الأدب العربى .

obeikandl.com

الفارس والموقعة

تعددت المواقع التى تبارى فيها الشاعران ، واختلفت مواقفهما باختلاف مكونات الشخصية ، وإن اتفقا فى بعض السمات العامة التى ميزت طبيعة نقائضهما عن غيرها .

وربما تبارى الفارسان بسلاح من نوع واحد ، مستهدفين هدفاً واحداً لكنهما اختلفا فى طريقة استخدامه ، ومقدار إصابة الهدف ، فقد التقى الشاعران فى موقف العداء من الأمويين ، واعتبارهم غاصبين ، ومع ذلك فإن الدور الذى لعبهُ ابن المعتز يختلف عن دور تميم ، فابن المعتز يصف الأمويين بالقدر ، ويعد جرائمهم مع العلويين فى نغمة هادئة لا تستشعر فيها مرارة الهزيمة ، أو التأهب للانتقام ، ثم نراه يستثمر هذا الموقف فى الهجوم على العلويين عندما يستحضر فى أذهانهم صورة العداء الحقيقى ، وبعد ذلك يزهو مفتخراً بأخذ الثأر للعلويين أما تميم فيتحدث عن الأمويين حديث الموتور ، ويهجوهم فيقذع فى الهجاء ، وبمقارنة هجائه غيرهم من خصومه لا نجد فى شعره إقذاعاً يشبه الإقذاع فى هجائهم ، فقد تعقب أصولهم ، وشبههم بغير المسلمين (١) ، ولا وجه للمقارنة بين هجوم تميم على الأمويين ، وهجومه على العباسيين . وكأن زوال دولة الأمويين وتعقب العباسيين لهم بالقتل والتشريد لم يرو غلته أو يهدىء من ثائرته .

ولموقف الشاعرين هنا دوافعه النفسية وأسبابه التاريخية ، فالعباسيون غرروا بالعلويين ، وكانت مقاتل الطالبيين على أيديهم من العوامل النفسية التى أزكت وبلورت فكرة التشيع بالصورة التى ظهرت على أيدى الفاطميين .

وتتجلى القدرات الفردية لفارسى هذه الحلبة من السباق – بصورة واضحة – فى عرض وتفنيد الخصومة بين العلويين والعباسيين . فابن المعتز مستميت فى الدفاع عن قضيته ، وتبدو هذه الاستماتة فى مظاهر متعددة ، كما تعكس لنا فى الوقت نفسه أبعاداً مختلفة فى شخصيته . ولعل أهم هذه المظاهر هو تعدد جبهات القتال واختلاف الأسلحة فتارة يخوض حرباً مع أعدائهم الأمويين وأخرى مع الثائرين العلويين ، ويستخدم أسلوب الكر والفر ، فيهددهم فى عنف ، ثم يعود إلى نغمة الود والقربى ، ويحشد أكبر قدر من البراهين العقلية والوجدانية ليثبت حقه فى الخلافة ، ثم يلجأ إلى التأثير النفسى والإيحاء لخصومه بالتنازل عن تلك القضية .

---

(١) راجع هذا الكتاب ، ص ١١٥ ، وانظر نماذج أخرى فى ديوان تميم ، ص ٢٠٢ .

ونراه يحاول استغلال فكرة النسب إلى هاشم والرسول صلى الله عليه وسلم لتحقيق تفوق آله على غيرهم ممن يشتركون معهم فى هذا النسب . وقد حقق بذلك هدفين ، أحدهما : إفساد استغلال هذه الفكرة على خصومه إذا انتسبوا إليها ، وكأنه يريد أن يقول لهم : نحن شركاء في هذا النسب ، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فى إبطال نسبتهم فزعم أنهم أدعياء ، وأن أهله بنى العباس هم ذوو القرابة الحقيقية . أما الهدف الآخر فهو الربط بين الفخر بالعباس وجنوره . وجنوره هنا ذات شقين : أحدهما تاريخى ، والآخر دينى ، يمثل الشق الأول النسب إلى هاشم بن عبد المطلب ، والآخر النسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فلم يكثر من الفخر بهما مثل إكثاره من الفخر بجده العباس الذى تعقب مآثره وفسر سيرته تفسيراً خاصاً يتفق وغرضه العام من الإشادة به .

ولهذا الموقف دلالته على نفسية الشاعر فابن المعتز يدافع عن ملك يتهاوى ، فالخلافة العباسية – كما مر – كانت تحتضر فى أيامه ، والإحساس بالضعف مدعاة إلى التشبث بها كما يتشبث الغريق بأسباب النجاة ، والطفل بلعبته ، والشاعر بأمانيه .

ويذهب أحد الباحثين إلى القول بأن العوامل الذاتية كانت من أهم المؤثرات فى أساليب ابن المعتز مع خصومه : فهذا التنبنب بين اللين والعنف يدل على أن تلك الحملات الشعرية التى كان الشاعر يشنها على بنى علىٍّ من حين لآخر لم تكن جميعها نتيجة مذهب سياسى واضح الأركان أو عقيدة آمن بها الشاعر كل الإيمان بل إن عليها إلى جانب ذلك شوباً من نزعات وعوامل مختلفة ، لعل أهمها ذلك القلق والاضطراب النفسى وحب التعويض الذى يجعله يتلمس خصوماً يصاولهم ويصاولونه ويساورهم ويساورونه (١) .

ويرى باحث آخر أن العوامل السياسية والاجتماعية كانت وراء هذه الأساليب .

فهو يشتد فى الخصومة ثمناً لعفو « المعتضد » عنه ، ولم يكن هذا السبب بمعزل عن دافع ذاتى « فلقد كان – ككل بنى العباس – يحرص على أن يظل الملك فيهم بغض النظر عن تسلط الأتراك . . . ولما كان الطالبيون أقوى المنافسين لهم فقد رأى ابن المعتز بتفويض من الإمام أن يناقشهم ويوجعهم (٢) .

(١) عبد الله بن المعتز العباسى د . محمد عبد العزيز الكفراوى ، ص ١٢١ .

(٢) ابن المعتز العباسى ، أحمد كمال زكى ، سلسلة اعلام العرب ، ٣٦ ، ص ١٣٢ .

ثم لا يلبث أن يستجيب لمتطلبات الظروف السياسية والاجتماعية فيلين فى الخصومة فقد آلم أسلوب العنف فريقاً من أصحابه ، وعلى رأسهم « المبرد » الذى سأله الرفق بآل على حتى لا يستغل القرامطة موقفه ضده ، كذلك كان من أكثر العاتبين عليه جاره أبو الحسين محمد بن الحسين العلوى (١) ..

وقد تتداخل هذه العوامل جميعها ، وتنصهر فى نفس ابن المعتز لتشكل موقفه من تلك المعركة .

أما تميم فهو طرف فى خصومة يدافع عن حقه ، ولكنه يبدو كالذى تنازع عقاراً وأقام فيه ، واستراح إلى ما يشبه قرار المحاكم – فى أيامنا – « يبقى الحال على ماهو عليه ، وعلى المتضرر أن يلجأ إلى القضاء » ومن ثم قابل تميم هجوم العباسيين المتحمس بشىء من الاسترخاء بدا فى أكثر من مظهر وعكس لنا جانباً من شخصيته . والذى يستعرض ديوان ابن المعتز ليحصى عدد القصائد التى هاجم فيها العلويين يجده –على وجه التقريب – ضعف العدد الذى ردَّ فيه تميم ذلك الهجوم ، وليست المسألة قاصرة على الكم فحسب – مع أنه لا ينبغى لنا أن نتشكك فى فقدان شعر تميم بعد أن ناقشنا هذه القضية فى تمهيد هذا الكتاب – فالكيف أيضاً ينطق بذلك الاسترخاء ، فلم يُجارِ تميمٌ خصمه فى شتى المجالات التى هاجمه فيها ، ولم يتعقبها ولم يفتح جبهات أخرى ، وإنما اكتفى فى غالب أحواله – بالردود العامة كما أشرت إلى ذلك سلفاً (٢) .

ولا نلمس هذا الاضطراب النفسى الذى رأيناه عند ابن المعتز فى موقف تميم من الخصومة . . . لأنه يستمد هدوءه من استقرار أمور أسرته وقوة دولته ، وحسن علاقته بها ، وقد نرى استعراضاً فنياً يعكس لنا جانباً آخر من حياته الفنية ، حينما يحاول أن يرد على ابن المعتز فى نقيضة معينة ، وهذا ما يفسر لنا طول القصائد التى اتجه إليها عمداً كالقصيدة البائية أو الرائية ، وليس وراء الإطالة والتفوق فى الكم موقف هجومىّ أو مناورة كلامية ، وإنما هو استعراض فنى بالدرجة الأولى .

وقد يبدو ذلك تناقضاً واضحاً إذا قابلنا موقف الشاعرين هنا بموقفهما من الاعتناق المذهبى .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٢) راجع هذا الكتاب ، ص ١١٥ ، ١١٦ .

الدرجة الثانية أو الثالثة فعليهم أن يشبعوا مما تركه السادة الحاكمون ثم يعرض بهم الشاعر ويهددهم حين يصفهم بركوب البغى وأن هذا الطريق يسلم ركابه إلى الهلاك .

(٢) التبكيت :

ومن أساليب ابن المعتز فى هجائه الطالبيين أسلوبُ التعبير الذى يحمل فى طياته عناصر التبكيت والفخر والتهديد فلطالما عيرهم بموقفهم من الأمويين

ألا ربَّ يـومٍ قـد كسـوْتُمْ عمائمـاً ... من الضرْب فى الهاماتِ حمرَ النوائبِ
فلمـاً أراقـوا بالسـيوفِ دماءكـمْ ... أبَيْنـاً ولـم تملـكْ حَنِـينَ الأقـاربِ (١)

ويبالغ فى التبكيت والأذى بتصوير مقتل الحسين واتهام العلويين بأنهم قتلوه بسيوفهم ظمآن ، وقد ارتسمت على وجهه الشريف كل دلائل الحيرة والهلاك .

وأسْـيافٍ لكـمْ أودَى ... حسـينٌ وهـو ظمـآنُ
يـرى فـى وجهـهِ الجهـمِ ... لوجـهِ المـوتِ ألـوانُ (٢)

وبعد أن يثير هذه الذكرى وما أحاطها به من انفعالات يزهو بقومه العباسيين الذين أخذوا بثأر الحسين مبكتاً بذلك العلويين لعجزهم عن الأخذ بثأر جدهم :

ولـولا نحـن قـد ضـاع ... دم بالطـُّـف مجـَّـانُ (٣)

ويستغل ابن المعتز قضية الصراع بين الأمويين والطالبيين وموقف العباسيين من أبناء عمومتهم فى ميلهم إلى رأب الصدع وترك الخلاف والمبادرة إلى الشكر لا إلى الحرب

ونحـن رفعنـا سـيف مـروان عنكـم ... فهلمكـم يـا آل أحمـد فـى الشـكرِ

ويستغل ابن المعتز مقاتل الطالبيين لتبكيتهم سواء أكانت على أيدى الأمويين أم العباسيين فيذكرهم بالهزائم المتكررة التى لحقت بهم على أيدى العباسيين كلما أثاروا الفتنة وأيقظوا الشر :

وجَرُّوا إلينا الحـرب حتى إذا غلـت ... وفارتْ رأوا صبراً على الحربِ أفْضَلا
وعـانوا عيـاذاً بالفـرار وقبلـه ... أضاعُوا بدار السلم حـرزاً ومعقـلاَ
بنـى عمنـا أيقظتـمُ الشـرَّ بيننـا ... فكانتْ إليكـم عـَـوْدةُ الشـرِّ أعْجـَلاَ
فصبراً على ما قدْ جررتـُمْ فإنكـمْ ... فتَحْتم لنـا باباً مـن الشـرِّ مُقْفـَلاَ (٤)

(١،٢،٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٢٥٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٣ .

وتردد ابن المعتز بين الهجوم المكثف والمناوشات عله يسترضى خصومه فإذا لم يفلح فى إقناعهم فإنه يتهمهم بالجهل والجنون .

عذلتُ بنى عمّى وطأبَ بهم عَذْلى ... لعلهمُ يوماً يفيقونَ من جهلِ
معافينَ إلا من عقولٍ مريضةٍ ... كم من صَحيحِ الجسمِ خلوٍ من العقلِ (١)

ويضيق ابن المعتز ذرعاً بالعلويين فيشتد غضبه فى حوارهم ويغلظ القول لهم :

وَدَأْبُ العَلَوِيِّينَ ... لهم جَحْدٌ وكُفْرانُ
فهُمْ لا كان إمساكٌ ... إذا لم يكُ إحْسانُ (٢)

ويثور فى وجوههم معلناً ضجره مؤكداً أنهم كالأطفال فى مطالبهم يتشبثون بما لا يطيقون :

يا بنى عَمْنا إلى كمْ وحتّى ... ليسَ ما تطلبُونَه يستقيمُ
أبدا فارغينَ إنْ تطمعُوا الملـ ... ـك كما ذيّعَن رضاعٍ فطيمُ (٣)

ويتعجب من مواقفهم ويفسرها بالحقد المرير الذى ملأ نفوسهم لإحساسهم بضآلة نسبهم ، وضياع أمجادهم فى الوقت الذى ارتفع فيه مجد العباسيين ولم يملك العلويون إخفاء مشاعرهم فأصبحوا عونا للزمان الجائر ومصدراً للهم والأذى وليس هذا شأن أبناء العمومة :

فسبحان ربّى ما لقومٍ أرى لهمْ ... كوامنَ أضغانٍ عقاربُها تَسْرِى
إذا ما اجتمعْنا فى النديّ تضاءَلوا ... كما خَفِيَتْ مرضَى الكواكبِ فى الفجْرِ
بنو العمِ لا بل هم بنو الغمِّ والأذى ... وأعوانُ دهرى إن تظلمتُ من دهْرى
وغاظهمُ المجدُ الذى لا ينالُه ... لئيمٌ ولا وانٍ ضعيفٌ عن الوتْرِ
فدونكمُ الفعلُ الذى أنا فاعلٌ ... فإنكمُ مثلى إذاً ، ولكمْ فَخَرِى (٤)

(٣) المبالغة :

ويبالغ ابن المعتز فى تهديد خصومه ، ويذكرهم بقدرته على حماية العرش والويل لمن يقترب منه ، فالهرب الهرب وإلا فالموت الزؤام والعاقبة أدهى وأمر :

وإيّاكمُ إياكمُ وحَذارِ من ... ضَراغمةٍ فى الغابِ حُمرِ المخالبِ
ألاَ إنّها الحربُ التى قد علمتمُ ... وجربتمُ والعلمُ عندَ التجاربِ (٥)

(١،٢،٣) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٨٦ ، ٤٢٢ ، ١٩٢ .
(٤) ديوان ابن المعتز ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .
(٥) ديوان ابن المعتز ، ص ٥٠ .

ويؤكد تحذيره منصوراً قومه بالأسود وعرشهم بماء في غابة يشربون منه وإلحاح الطالبيين بإلحاح طائر يحوم حول هذا الماء وهيهات أن تكون له نجاة من تلك الأسود :

واحذروا ماء غابةٍ لم ينزل طا ... ئرُ حرصٍ عليه منكمْ يَحُومُ
إن فيها أسْداً ضراغم أشْبا ... لَ رعيلٍ لم ينجُ منها كَليمُ (١)

(٤) الهجاء الهادىء :

وتبدو نغمة الهجاء الهادىء عند تميم أوضح منها عند ابن المعتز فهو ينصح خصومه بعدم إزعاج أنفسهم ، وتكدير صفو حياتهم بهذا التشبث السفيه ، وتلك المفاخر الكاذبة :

ولا تَسْقَهُوا أنفساً بالكِذابِ ... فذاكَ أشدُّ لإتْعابِها (٢)

وكأنه يحلل موقف الهاشميين تحليلا متكاملا ، ويبتعد بنفسه قليلاً عن ميدان المعركة ليرى مسرحها بنظرةٍ شاملة ، وكأنه مشاهد مباراة وليس طرفاً فيها فيقيم الموقف بأسره في حكم موجز صادر عن نفس متماسكة فيقول لخصومه :

ولم ترثُوا غيرَ أنسابِكمْ ... ولكن وُلِعْتُم بتكْثيرِها (٣)

وتميم في هجومه على خصومه يمزج الفخر بالهجاء ، وتعلو نغمة الفخر عالية وتلوح بين الحين والحين صورة الخلافة في الفخر والهجاء فيأمر خصومه بالكف عن المطالبة بها والبعد عنها :

فاصْدُروا عن موارِدِ الملكِ إنّا ... نحنُ أهلُ الإيرادِ والإصْدارِ
ولنا العزُّ والسموُّ عليكمْ ... والمساعي وقطبُ كل مَدارِ (٤)

ولا يشتط تميم في هجاء العباسيين ، ولعل موقف الدفاع عنده أوضح من موقف الهجوم ، ويكتفي بالرد على هجوم ابن عمه بوصفه بالجور والظلم والخطأ والتطاول والضلال :

ألا قلْ لمنْ ضلَّ منْ هاشمٍ ... ورَامَ اللحوقَ بأربابِها
أأوسَطُها مثلُ أطرافِها ... وأرؤسُها مثلُ أذنابِها (٥)

وأمام تهديد ابن المعتز وتعييره له فإنه يحاول أن يرد هذا الهجوم فيسب الأمويين ويهجوهم هجاء عاما :

---

(١) ديوان ابن المعتز ، ص ٣٩٤ .
(٢) ديوان تميم ، ص ٨١ .
(٤،٣) ديوان تميم ، ١٦٧ ، ١٨٨ .
(٥) ديوان تميم ابن المعتز ، ص ٨٠ .

قَبيلةٌ أفضلُها شرُّهَا ... لا أشْرفَتْ عن حالِ مرءُسِها
فإنَّها أولى بإتْعَاسِها ... ولعنُها من لعْنِ إبليسِها (١)

ويقابل تميم ابن المعتز بتهديد مماثل لا سيما أن دولة الفاطميين قد أقامت عاصمتها فى مصر على أنقاض حكم العباسيين :

لا تُقَطُّوا بحيفكمْ واضحَ الحـ ... ـقّ فيقضى بكم لكلّ دَمَارِ
وأصيخُوا لوقعةٍ تملأ الأر ... ضَ عليكمْ بجحْفَلٍ جرَّارِ
تحتَ أعلامِه من القاطمي ... ـين أسودٌ تُدْمِى شبَا الأظفَارِ (٢)

ولا نرى عند تميم هذا الصراع الدافىء الذى رأيناه عند ابن المعتز ، فهو لا يقابل فكرة الهجاء بمثلها إلا قليلا ، وفى هذا القليل لا يرده رداً متحمساً ويكتفى بإطلاق تهديدات عامة ، وكأنه لا يريد أن يصيب مقتلا أو يدمى جرحاً أشبه ما يكون بفرق المطاردة فى المظاهرات الشعبية ، فنراه مرة يدعوهم إلى عدم التطاول على أهله :

فدعُوا خطّةَ العُلا لنويها ... من بنى بيتِ أحمدَ الأبرارِ
أو فلوموا الإلهَ فى أنْ يرانا ... فوقكم وَاغْضبوا على المقدار (٣)

ومرة أخرى يهاجم تميم الهاشميين هجوماً طائش الطلقات ويدعوهم إلى العمل البناء وترك الطيش الذى عاش فيه آباؤهم من قبل ، وأن يقتدوا بهم فى إقامة صرح المعالى :

دعُوا لِى العلا دونَ سَاداتكمْ ... فإنىَ سُورٌ على سُورِهاَ
وإنى نهضْتُ بمكسُورِها ... وآنستُ وحشةَ مهجُورِها
وأنتمْ تَطُونَ ذُنَابَى العُلا ... وتزدحمُونَ على نُورِها
ملأتُ عيونَكمُ بالغُبَارِ ... فحسبُكمُ مسحُ تَغبيرِها
ولا تفعلُوا فعلَ آبائكمْ ... فَتَخْطُونَ خطوِى بتَطْهِيرِها (٤)

ويبدو أن تميما لم تهزه أهاجى ابن المعتز فاقتنع بهذه الردود ، ونسب إلى نفسه من الفضائل ما نسب ثم عقب على هجاء ابن المعتز بأنه لن ينال منه شيئاً ويبرر دوافعه بالحقد والحسد :

وطاوٍ على حَسَدٍ كشحَهُ ... قديمِ العداوةِ مشهورِها
يُساءُ بكسبِى العُلا كلَّماَ ... أغَرْتُ بجودِى على غيرِها (٥)

(١) ديوان تميم ابن المعتز ، ٢٤٧ .
(٢) ديوان تميم بن المعتز ، ص ١٨٨ .
(٣،٤) ديوان تميم ، ١٨٧ ، ١٦٦ .
(٥) ديوان تميم ، ص ١٦٦ .